استمارة المشاركة

اسم ولقب الباحث الأول: سهام ذيب الرتبة العلمية : أستاذ محاضر المؤسسة :جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس كلية العلوم الاجتماعية والانسانية التخصص:إعلام ثقافي الهاتف :0669595886 العنوان الالكتروني: s.dib@univ-soukahras.dz الوظيفة : أستاذة جامعية بجامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس كلية العلوم الاجتماعية	اسم ولقب الباحث الثاني: عادل لولو الرتبة العلمية :طالب دكتوراه السنة الثالثة المؤسسة :جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس كلية العلوم الاجتماعية التخصص:علم اجتماع التربية الهاتف :0699795855 العنوان الالكتروني: adel.loulou@univ-soukahras.dz الوظيفة :موظف في قطاع التربية . الرتبة : أستاذ مكون في التعليم الثانوي

شبكات التواصل الاجتماعي ورهانات الخصوصية الثقافية في ظل المتغيرات الكونية

ملخص الدراسة:

وفّرت شبكات التواصل الاجتماعي مساحات اتصالية واسعة، أعطت لكل فرد ينتمي إلى مجتمع المعلومات الحق في حرية الرأي والتفكير، ثم الحق في حرية التعبير عن شخصه وهويته وثقافته، أين أصبح المستخدم قادرا على التعريف بثقافته ليس للقريب فقط بل للعالم بأسره، ولكنه في ذات الوقت أصبح عرضة للكثير من التهديدات التي تخترق خصوصيته الثقافية، هذه الخصوصية التي تعد الفاصل في تمييز هويات المجتمع عن بعضها البعض، وإذا ما غابت أو غيّبت زالت الحدود الفاصلة بين المجتمعات، وأصبحت عرضة للاضمحلال والذوبان في ثقافة أخرى، إذ لم يعد من السهل الحفاظ على هذه الخصوصية، خاصة في الفضاء الافتراضي الذي ساهم وبقوة في تعميق هذا الإشكال وزيادة تعقيداته. من هنا جاء هذا البحث يسعى إلى الكشف عن هذه الرهانات عن طريق وصفها نظريا والبحث في علاقاتها الخارجية في حدود السؤال الآتي: فيم تتمثل الرهانات التي تعترض الخصوصية الثقافية في الشبكات الاجتماعية في ظل المتغيرات الكونية التي يشهدها العالم اليوم؟.

عنوان البحث باللغة الانجليزية

"Social Media and Cultural Privacy Challenges in the Face of Global Trends"

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Social media platforms have provided extensive communication channels, granting every individual in the information society the right to freedom of thought and opinion, as well as the right to express their identity, culture, and personality. Users now have the ability to define their culture not only for those close to them but for the entire world. However, simultaneously, users have become susceptible to various threats that compromise their cultural privacy. This privacy plays a crucial role in distinguishing between different community identities. If it erodes or is violated, the boundaries between communities blur, making them vulnerable to assimilation into other cultures. Preserving this privacy has become a formidable challenge, particularly in the virtual realm, which has significantly exacerbated and complicated this issue.

This research seeks to uncover these challenges and identify optimal methods for addressing them by providing a theoretical description and examining their external relationships, addressing the following question: What challenges hinder cultural privacy on social media platforms in light of the global trends observed in today's world?

- **الخصوصية الثقافية.... مفهومها وتمثلاتها الواقعية:**

يقصد بالخصوصية الثقافية أن كل ثقافة تحمل في ذاتها من جهة وتعكس من جهة أخرى مجموعة من الفوارق التي تميزها عن غيرها، دون أن يعني ذلك انعدام الخصائص والمواصفات المشتركة بين هذه الثقافة وتلك (عصيد، صفحة 09). مما يعني أنه رغم الاختلاف إلا أن المشترك يبقى قائما في كثير من الجوانب.

كما تمثل الخصوصية أيضا سمات خاصة بمجموعة اجتماعية معينة، وغالبا ما تشير إلى مهارات، وممارسات، وصور معرفيـــة معينـــة (الـــرحمن، 2013، صفحة 165)، وهي الفاصل في تمييز هويات المجتمع عن بعضها الـــبعض، وإذا ما غابت أو غيّبت زالت الحدود الفاصلة بين المجتمعـــات، وأصـــبحت عرضـــة للاضمحلال والذوبان في ثقافة أخرى.

يطلق عليها أيضا مصطلح "التفرد الثقافي" الذي يشير إلى مجموعة من الخصائص الفريدة والقيم والممارسات والمعايير التي تكون خاصة بثقافة محددة أو مجموعة ثقافية معينة (Chomsky، 2006، الصفحات 86–87). ويسلط الضوء فيه على العناصر المميزة والجوانب التي تميّز ثقافة واحدة عن ثقافة أخرى. ويعني التفرد الثقافي بأن كل ثقافة لديها مجموعة خاصة من التقاليد والعادات واللغة والرموز والمعتقدات التي تشكّل طريقة تفكير الناس وسلوكهم وتفاعلهم داخل السياق الثقافي (Hofstede، 2010).

يؤكد الطابع التعددي المتحول والخصوصي للثقافة قيمتها التاريخية بوصفها مجموع المكتسبات التي تضاف إلى الطبيعة البشرية الأصلية، أي نتاج الحياة على الأرض في وسط اجتماعي يتداخل فيه المادي والزمني بشكل يحمل بصمات الإنسان الصانع المبدع، وهذا ما يجعل الثقافة بناء وصيرورة وليست أبدا معطى جاهزا ومكتملا (عصيد، صفحة 09). لتكون بذلك قاعدة من المبادئ يصنعها المجتمع ويتمثّلها ويتناقلها جيلا بعد جيل، لتصبح بذلك عنوانا لهويته وتعبيرا عن كينونته.

إن الأنثروبولوجيا الثقافية تنظر إلى الثقافة على أنها شيء متغير ونسبي، فالثقافات البشرية تختلف من إقليم لآخر تماما كما تختلف من عصر لآخر، فلكل مجتمع ثقافة متميزة خاصة به، بل إن داخل كل مجتمع ثقافات فرعية لا تتطابق

تمام التطابق مع الثقافات الكلية للمجتمع، حيث نجد أن داخل كل إقليم تتميز جماعة محلية بملامح ثقافية خاصة، ولكن بالرغم من التفرع الثقافي للمجتمعات الإنسانية فهناك كثير من أوجه التشابه بين ثقافات الشعوب التي قد تعيش مسافات بعيدة بعضها عن بعض، خاصة فيما يتعلق بميادين الكتابة و طرق التقويم و العمارة ..... إلخ (وآخرون،، 2005، صفحة 113). والثقافة العربية الإسلامية مثال على ذلك، فهي تمثل مجتمعات إنسانية متباعدة جغرافيا لكنها تشترك في بعض العناصر الجوهرية للثقافة كالدين واللغة والقيم والمصيير المشترك...، ولكنها في المقابل لا يمكن أن تتقاطع مع الثقافة الغربية بأي وجه من الوجوه.

من السهل على الباحث ذو النظرة الثقافية أن يلاحظ عند سفره أو انتقاله من بلد لآخر أن الأفراد الذين قابلهم ينظرون إلى ثقافتهم كما لو كانت أسمى من أي ثقافة أخرى، حيث يفخر الفرنسي مثلا بلغته الجميلة، ويزهو الإيطالي بموسيقاه والأمريكي بمنجزاته المادية والتكنولوجية والشرقي بحكمته القديمة ... إلخ ولذلك ليس بمستغرب علينا أن يجد الآخرون أقل ميلا للموافقة على أفكاره أو آراءه حول نمو ثقافته. وهذا ما يعرف بالتمركز حول السلالة وهو مفهوم يشير إلى ميل الفرد لتقييم الثقافات الأخرى في ضوء أو حدود ثقافته هو. والفهم المتعمق هنا للنسبية الثقافية يفيد كثيرا في التمييز بين الثقافة المثالية للمجتمع، وهي تلك الثقافة التي يعبر عنها في حدود مشاعر عامة ومجردة، وبين الثقافة الواقعية وهي أنماط السلوك وأشكال التنظيم التي يعبر عنها بطريقة فعلية واقعية خلال النشاط اليومي للأفراد (وآخرون،، 2005، صفحة 177). فالواقع لا يعكس حقيقة الثقافة بقدر ما يعبر عن سلوكات قد تحسن أو لا تحسن تمثيل الثقافة ولكنها تعتبر معيارا للحكم عليها.

❖ **الخصوصية الثقافية ورهان استخدام التكنولوجيا الحديثة في الوسط الشبابي:**

يشهد المجتمع المعاصر اليوم أزمة ثقافية واجتماعية شكلها الصراع القائم بين التغيرات التكنولوجية الهامة والنظام الاجتماعي والنسق الثقافي القائم، إذ أوجد التغير التكنولوجي أدوارا اجتماعية جديدة وأوضاعا طبقية مستحدثة وقيما ودوافعا وحقوقا وواجبات لم تكن قائمة من قبل. ولقد كانت فئة الشباب هي أكثر فئات المجتمع تأثرا وإحساسا بهذه الأزمة لما يتسمون به من توجيه عقلي ودافعي نحو المستقبل، فهم يهدفون بثقافتهم المضادة التي يرون أنها تحمل الجديد إلى خلق أسلوب عصري للحياة، ينطوي على كل ما هو ملائم للفرد في حياته، وعلى كثير من المعايير التي يمكن أن تخدم اهتمامات ومصالح كافة أفراد المجتمع (علي، 1985، الصفحات 85–86)، ولكن الواقع يقول عكس ذلك، حيث أن ثقافتهم اليوم تخدم مصالحهم الذاتية وتنمي فيهم الفردانية على حساب مصلحة المجتمع وأمنه.

تعبّر ثقافة الشباب اليوم وللأسف عن نوع من الانهيار الثقافي في المجتمع المعاصر، حيث شجع على ذلك التكنولوجيا المعاصرة، وما أحدثته من تفكك في النظم التقليدية التي بدت غير ملائمة للتوقعات والأعمال والمطالب الجديدة، ومن ثم شكل ذلك كله تهديدا سافرا لاستقرار الإطار الثقافي الذي كان يمنح الشباب إحساسا بالهدف، وتمثلا للمعنى وثقة بالمستقبل (علي، 1985، صفحة 84). وهنا يجب على المجتمع أن يتعامل بعقلانية مع هذا التوجه الجديد، وأن يضع خطة لتوجيه ثقافة الشباب بما يتماشى مع العصرنة ويحافظ في ذات الوقت على معالم هويته الثقافية وخصوصيته التي تتجاذبها الكثير من التحديات.

❖ الخصوصية الثقافية ورهان توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التواصل بين الثقافات

لقد أزالت الشبكات السريعة للمعلومات الحدود التقليدية، وكثفت الزمنية، وساعدت على بروز ثقافة عالمية وتنوع ثقافي يعكسان نزعة العولمة الاقتصادية وغيرها. وليس هناك مبدئيا ومن زاوية نظرية بريئة أية خوف من الاعتماد على هذه الوسائل وتنمية التفاعل الثقافي والتقريب بين الشعوب، إلا أن التوازن بين القيم التقليدية والقيم الحديثة المستحدثة في المجتمعات النامية سوف يتغير بقدر ما تفتحه الشبكات السريعة للإعلام والمعلومات من آفاق جديدة، كذلك ضرورة خلق التوازن بين الخصوصية الثقافية وحتمية الانفتاح على الآخر في الفضاء الافتراضي من الاشكالات الهامة الواجب البحث فيها. من هنا فإن هذا الواقع الجديد يستدعي قدرا كبيرا من الاهتمام العلمي بالثقافة ودورها المؤثر، مع عدم إغفال المضاعفات والخلفيات السلبية للمسألة، خاصة وأن مظاهرها كثيرة ومتنوعة تتصل بالعقيدة والدين واللغة والهوية والتاريخ والتراث.. (الجموسي، صفحة 57).

إن الاتصالات باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي تساهم –حسب العديد من الباحثين– في تحقيق الانفتاح على الثقافة الأخرى، والتقارب بين الشعوب، والتفاعل والحوار بين الثقافات، وتسجل معالم التسامح بين المتناقضات، وبالتالي إزالة حدة التوتر والصراعات والحروب المتراكمة عبر التاريخ. فاليوم، أكثر من أي وقت مضى، "ينبغي أن يقوم مجتمع المعلومات على أساس احترام الهوية الثقافية والتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان، وأن يعزز احترام هذه

المفاهيم، وأن يشجع الحوار بين الثقافات والحضارات (الجموسي، صفحة 56)". وذلك بممارساته العملية الاتصالية على الوجه الذي يضمن له تحقيق ذلك.

أي أن شبكات التواصل الاجتماعي بمختلف مواقعها قد تجاوزت الفروقات الثقافية واختلاف المكان الذي يتواجد فيه المستخدمين لترسم جسرا من التواصل والتفاعل لم تشهده البشرية من قبل، جسرا يسمح ببناء علاقات وتشكيل مجموعات تجمعها المصالح والاهتمامات ولا تفرقها اختلافات الجنسيات والهويات، تنظر إلى التنوع الثقافي نظرة إيجابية يسمح لأفرادها بتوسيع آفاقهم وتفتحهم على العالم الخارجي مع الحفاظ على الخصوصية والهوية

لكن رغم أهمية الوسائل الحديثة عموما وشبكات التواصل الاجتماعي خصوصا للاتصال إلا أنها باتت تفرض رهانات جسام أمام الأمم والشعوب للمحافظة على جذورها الثقافية وصيانة مقوماتها الحضارية، وحمايتها من تيارات العولمة، ومخاطر التلاشي والذوبان في سيل الأنماط الأحادية والقوالب الجاهزة. ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى أن ما يزيد إحصاءات عن 90 بالمئة من المضامين الرقمية على شبكة الأنترنت تستعمل اللغة الإنجليزية (الجموسي، صفحة 43). ولا يفوتنا ما للغة كعنصر أساسي من عناصر الثقافة من قدرة على تغيير موازين القوى الثقافية كونها القالب الذي تنقل بفضله الدول ما تملكه من مقومات ثقافية من جيل إلى جيل ومن رقعة إلى رقعة جغرافية أخرى.

يجعل الوضع الراهن بعض الأمم تشعر أن أمنها مهدد، إذا ما أصبحت شعوبها تتجاوب مع الثقافات والقضايا العالمية، أكثر مما تتفاعل مع الخصوصيات والمشاغل المحلية. فالمشهد الثقافي اليوم وفي ضوء التحولات

الناشئة وطغيان الاتصال وبروز مجتمع المعلومات أفضى إلى ظهور ما يعرف بثقافة المعرفة، ثقافة تعتمد على قدرة العنصر البشري في إنتاج الخطاب الثقافي، وبالتالي قدرته على المحافظة على خصوصياته الثقافية والحضارية، وحسن التموقع في الفضاء الثقافي الافتراضي خاصة مع الانفتاح الثقافي الذي يشهده العالم اليوم، الذي يفرض على المجتمعات الصمود أمام تيارات ثقافة الآخر وطوفان الصورة وتدفق المعلومات بشكل غير مسبوق (الجموسي، الصفحات 48-49). وهذا التموقع يحتاج إلى آليات خاصة تمكنه من الثبات والبقاء في ظل عالم يأكل القوي فيه الضعيف.

❖ الخصوصية الثقافية ورهان اكتساح العولمة للساحة العالمية:

لا يمكن أن يكون الحديث عن الثقافة اليوم هو نفس الحديث عنها منذ عقود قليلة، أي قبل ثورة تكنولوجيا الاتصال، وانتصار اقتصاد السوق واتجاه العالم نحو العولمة بخصائصها التي منها تنميط الاستهلاك، بما في ذلك تنميط الصناعة الثقافية، ونتيجة لذلك أصبحت ثقافات الأمم المنتمية إلى العالم النامي واقعة تحت ضغط الثقافة الغربية المعولمة والعالمية، لتحاول رد الفعل بالدفاع عن نفسها باسم الهوية، لأن العولمة تلقي على الهامش بمجتمعات وثقافات وتعمل على تفتيتها، فيكون هناك من جهة عولمة المجتمعات المتقدمة المتحكمة في مراكزها وشبكات مصالحها وتواصلها، وهناك من جهة أخرى تفتيت ثقافي طائفي وعرقي للثقافات الاخرى (علي أ.، 2005، صفحة 101).

إن حقيقة الثقافة العالمية الكونية التي تطمح العولمة في اتجاهها الفكري الأيديولوجي إلى صياغتها والترويج لها، والتي يسعى العالم الغربي إلى فرض سيطرتها لا تعني أن يشارك الجميع في إنتاجها، بل تعني أنها الأكثر انتشارا على مستوى العالم بسبب تحكم الشركات المعولمة في إنتاجها وتسويقها، مما

يجعل الوجه الآخر لعولمة البضاعة هو صعود الهويات الثقافية المتعددة والتي تسعى إلى إثبات ذات جماعية دينية، طائفية وإثنية، حيث تتصارع فيما بينها من جهة، وتصارع العالم صراعا غير متكافئ من جهة أخرى (علي أ.، 2005، صفحة 88). وستكون الغلبة بالطبع للأقوى اقتصاديا والذي يوهم نفسه والآخرين بأنه الأقوى أيضا ثقافيا وإن لم يكن كذلك.

تعترض الخصوصية الثقافية وسط تداعيات العولمة في الفضاء الافتراضي خاصة الكثير من العقبات التي تحول دون الحفاظ عليها وحمايتها من الثقافات التي تملك سلطة القرار، والتي تحاول اختراق خصوصيتها والتدخل في شؤونها وتغيير مبادئها لمسايرة العالم المعاصر الذي يسعى لجعل جميع الثقافات على نمط واحد والقضاء على الخصوصية التي تميز كل ثقافة عن الأخرى، خاصة في حدود شبكات التواصل الاجتماعي.

إن الصراع في المنافسة الاقتصادية الشرسة، وفي مساعي الهيمنة والمركزية والاستقطاب والاستيعاب، وفي فرض النفوذ الاقتصادي والسياسي الذي يؤول إلى صراع عسكري يتجسم في التصادم أو الاعتداء الخاطف المدمر على طريقة حرب النجوم وأفلام الخيال العلمي، وما يصاحب ذلك من انتهاك لحرمة المجتمعات وخصوصياتها، وتحطيم لرموزها ومقدساتها الفكرية والروحية والاسطورية والتاريخية، وزعزعة لاستقرارها وغط عيشها وتفكيرها (عثمان، 1999، صفحة 61).

تعد العولمة تهديدا للهويات الثقافية وخصوصياتها، وإن لم يؤخذ هذا الخطر محمل الجد فسيؤدي إلى التوحيد الثقافي، انطلاقا من توحيد السلوك وأشكال العيش، ورغم أهمية وضع قيم مشتركة فذلك مشروط بأن يكون دون تناسي

للخصوصيات المحلية المكتسبة عبر الزمان، وبدون نسيان احترام الهويات وتغييب ثروة وغنى التنوع الثقافي والهويات اللغوية التي يتعلق بها الإنسان (بوفتا، 2007، صفحة 57).

كما تعتبر العولمة الثقافة في هذا المجال نتاج هيمنة نموذج ثقافي معين، وهي الهيمنة التي وبقفزها على الهويات الثقافية المختلفة أفرزت بروزا "للقبائل" وللانغلاق على الذات، وللشعور الأثني عوض التعايش والحوار، وهذا الواقع يتناقض بشكل مطلق مع الاتصال، لأن الاتصال لا يمكن فصله عن سياق عمومي مبني حول قيم الحوار والنقاش على حد ما ذهب إليه يورغن هابرماس (بوجمعة، 2008، صفحة 18).

رغم ذلك يمكن استغلال الوضع الحالي بإيجابية واستثماره في خدمة الثقافة لا في زعزعتها، إذ من الممكن أن تكون العولمة هي السبيل للتعرف على الآخر معرفة تزيد من تفتحنا لا تفسخنا، وتواصلنا لا تنافرنا، خاصة مع الامتيازات الكبيرة التي تقدمها الشبكات الاجتماعية في هذا المجال، ولكن لن يتأتى ذلك إلا بتحصين الفرد عامة والشباب خاصة عن طريق تنمية وعيه بحقيقة الوضع وخطورته وما يلزمه من آليات لمجابهة فرض الآخر لسيطرته.

- الخصوصية الثقافية ورهان الاختلاف الثقافي في إطار كوني متعدد الثقافات:

ليس المقصود بـــالاختلاف هنا الدعوة إلى قطيعة مع الآخر ومع الماضي والاستهانة بهما، واختزالهما إلى مكوّن هامشي؛ ذلك أن القطيعة لن تحقق إلا العزلة والانغلاق، والاعتصام بالذات ومطابقتها على نحو نرجسي مرضى لا يمكّنها أبدا من أن تتشكّل على نحو سليم ومتفاعل ومتطور. الأمر يوجب تنمية

عوامل اختلاف جوهرية واعية وجديدة تعمل على تغذية الذات الثقافية بطابعها المنشغل بوقائعه وموضوعاته المتصلة بالبعد التاريخي لتلك الذات، وألاّ يصار إلى اختزال تلك الوقائع إلى مجرد مفاهيم توافق رؤى ثقافية أخرى لها شروطها التاريخية المختلفة. نقصد بذلك الاختلاف الذي يبحث بنفسه عن الحلول الممكنة للصعاب التي تواجه أسئلته الخاصة، ولكن في الوقت نفسه، الدخول في حوار متكافئ مع الآخر، كائنا ما كانت مرجعياته ومصادره، ومساءلته معرفيا ومنهجيا بغرض الإفادة منه وليس الامتثال له، بما يحول ثقافاته إلى مكوّن فاعل وليس إلى مكوّن مهيمن، وعلى هذا فليس ثمة اختلاف، دون وعي أصيل بأهمية الاختلاف نفسه (إبراهيم، 2004، صفحة 08). لذلك من الضروري ألا ننخرط في منظور متعدد الثقافات باسم احترام الاختلاف دون التفكير في الآثار المنهجية والأيديولوجية التي يمكن أن يستتبعها هذا المفهوم وفقا للتحليلات المختلفة وأساليب التطبيق التي نتخذها منه (BOUBNIDER، 1990، الصفحات 23–24).

إن الواقع يتطلب الوعي بأهمية ظاهرة الاختلاف الثقافي باعتبارها إحدى الخصائص الأساسية للمجتمعات البشرية، كما يستدعي الاعتراف بأن الاختلافات لا توجد فقط داخل المجموعات الثقافية التي تربطها علاقات القرابة أو الجوار، بل حتى داخل الكيان الثقافي الواحد الذي يفترض أنه متجانس ومتماسك. ونحن لا نعرف ثقافة بشرية واحدة خلت من شوائب التعدد، وأصبحت تؤلّف وحدة منسجمة تمام الانسجام، إذ أن داخل كل ثقافة مهما يعظم شأنها، توجد اختلافات ومتغيرات كثيرة، تعطي الانطباع في كثير من الأحيان بأنها جذرية ومستعصية على كل توفيق. ويذكرنا التاريخ نفسه بأن كثيرا من الحروب الدموية الكبرى اندلعت في دول تنتمي إلى الثقافة الأم ذاتها. وها نحن نشاهد في عالم اليوم تفجر التناقضات الصارخة، وتفاقم الأزمات الاقتصادية الخطرة، الناجمة عن

تداعيات سيرورة ظاهرة العولمة داخل مجموعة الدول التي تنتمي إلى كيان الثقافة الغربية نفسها (الدواي، 2013، صفحة 106).

قد تكون هناك خصوصية ثقافية داخل المجتمع لتعبر عن نمط أو نسق ثقافي تنفرد به طائفة معينة من أفراد المجتمع، فبالرغم من وحدة السمات والأنماط الثقافية الأساسية وهو ما يعبر عنه "بالشمول الثقافي" قد تنفرد جماعة ببعض قواعد السلوك دون مجموعة أخرى، فالخصوصية الثقافية هنا تمثل علاقة اجتماعية مميزة وفي ضوئها يمكن تقسيم الأفراد إلى عدة مجموعات مما يؤدي إلى شيء من الاختلاف و التباين بينهم، والذي يعبر عن بعض الفوارق الملحوظة دون التعارض مع التجانس الثقافي العام، أي أن هناك تعايشا بين هذه الخصوصيات داخل نسق ثقافي عام (إبراهيم ف.، 2007، صفحة 62). ويبدو هذا واضحا وجليا في أغلب إن لم نقل كل المجتمعات الغربية منها والعربية، وعلى سبيل التمثيل نجد في الجزائر ثقافات فرعية تتقاطع مع الثقافة الجزائرية في بعض النقاط وتختلف معها في أخرى، كثقافة الإباضية وثقافة الشاوية (القبائل) أين نلمس ذلك الاختلاف على المستوى اللغوي والمذهبي والقيمي والكثير من العادات والتقاليد، غير أن طابعها العام يبقى جزائريا.

إن الاختلاف هنا بين الثقافات على مستوى القطر الواحد أو بين الأقطار المتعددة يضعنا في مساءلة كيفية الحفاظ على الخصوصية وحمايتها من التداخل والتمازج الذي يفقدها التمايز والتفرد الذي تتمتع به عن غيرها، خاصة مع التكنولوجيا الحديثة التي أتاحت الانفتاح على الآخر دون قيد أو شرط.

من هنا فإن توخي النزاهة والموضوعية والاحترام في قضايا الاختلاف والتعدد الثقافي والتمايز الحضاري والنظرة العادلة إلى كل الثقافات التي تعطي كل ذي حق حقه سيعزز مستقبل الإنسانية بالسلام والتعايش الممكن، بدلا من

التصادم المهلك للشعوب والمكرس للكراهية بينها، مما يتيح مجالا رحبا للحوار بين الشعوب ويمنح الآراء الصائبة الظرف المناسب لإقناع الآخرين والانتفاع بها دون حاجة إلى إكراههم على قبولها (الحليبي، 2006، صفحة 27)، أما إذا غابت قيم التواصل ومبادئ الحفاظ على الخصوصية فإن ذلك سيجعل الثقافة الأقوى ظاهرة على الثقافات الأخرى، ذلك أن الثقافة الأقوى التي تمتلك العلم والحق والإقناع لا تخش على نفسها من السقوط أو الانهزام، بينما إذا ما وظفت قيما متوازنة في التعامل مع المختلف توفق من خلالها بين خصوصيات الأنا وممتلكات الآخر فإنها ستضمن وتحقق عملية تواصلية نفعية للطرفين.

كما أن ضمان حق التداول الحر للأفكار عن طريق الكلمة والصورة مصلحة وضمان للتنوع الثقافي في ذاته، إذ يجب فتح فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والمعارف العلمية والتكنولوجية بما في ذلك المعارف في صورتها الرقمية أمام الجميع. فمن صميم حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ضرورة تمتع كل شخص بالقدرة على التعبير عن نفسه وإبداع أعماله الكوني ونشرها باللغة التي يختارها وخاصة بلغته الأصلية (السعدي، صفحة 17).

إن فهم الخصوصية والتفرد الثقافي ضروري للتواصل بين الثقافات وخاصة في حدود شبكات التواصل الاجتماعي التي وفرت أسهل وأسرع سبل التواصل، حيث يساعد في تجنب التعميمات والنماذج النمطية حول الثقافات المختلفة. ويؤكد التفرد الثقافي عموما على أهمية تقدير واحترام التنوع وتعقيد التقاليد الثقافية المختلفة ووجهات النظر، ومن خلال الاعتراف به يمكن للأفراد تعزيز الحس الثقافي والتعاطف والشمولية أثناء التفاعل مع أشخاص من خلفيات ثقافية مختلفة (Holsti، 2013، صفحة 69).

عموما فذلك التنوع بين الثقافات والذي يطهر جليا في الشبكات الاجتماعية ومن خلال تجسيده لفسيفساء الهويات المتعددة المتسمة بالحيوية والتنوع، يصبح في حد ذاته المبدأ الذي يثري الإبداع الممتدة آفاقه إلى مالا نهاية، وكل شكل من أشكال الإبداع يمثل مكانا للقاء ويفتح آفاقا جديدة ويوسع مجالات الحرية والخيارات المتاحة لنا من خلال إقامة صلات متينة بين المناطق وبين الأفراد وبين الأجيال، فيتمخض عنه بالتالي نداء للحوار ويصبح بوتقة للقاءات جديدة وابتكارات مبدعة. ولأن الثقافة عملية متطورة فهي تجدد باستمرار تراث الكفاءات والمعارف والحكمة الذي تتناقلها الأجيال، وتبتكر أشكالا جديدة من التعبير عبر الزمان والمكان معبرة بذلك عن تنوع لا نهاية له (العبري، 2007، صفحة 18). وهذا التنوع والإبداع يثريه أكثر ذلك التفاعل القائم على الأخذ والعطاء بتواضع، المبني على احترام الرأي الآخر والاستفادة منه، بل وقبل ذلك يجب يصبح هذا التصور قناعة راسخة لدى كل ثقافة مهما كان تطورها في المجالات الأخرى.

رغم أهمية وضرورة الحفاظ على تلك الاختلافات وتغذيتها إلا هناك موقف أخر على المستوى الدولي، فرغبة الدولة الوطنية المركزية وحاجتها إلى تشكيل قوة مبنية على الوحدة والسيادة جعلها تسعى لتذويب الخصوصيات لتثبيت سلطتها وقوتها وسيطرتها على المجتمع من أجل إشاعة منظومتها الإيديولوجية، مما يجعل كل محاولة لإعادة الاعتبار للتنوع يعتبر تهديدا لسلطة الدولة وتفكيكا لإيديولوجيتها المهيمنة، فالدولة المتمركزة بحاجة إلى إجماع هوياتي ثقافي ولغوي لتثبيت سيطرتها، مما يجعل التنوع الثقافي واقعا غير طبيعي بالنسبة للدولة وعامل تهديد للوحدة الوطنية.[1] فتراها تسعى جاهدة لطمس ذلك التنوع

---

[1]- أحمد عصيد، مرجع سابق، ص 10.

سواء كان ذلك بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، محاولة بذلك التقليل من أثاره التي تخلق لها مسائل شائكة حول الأنا والآخر وموقع الآخر وحقوقه بالنسبة للأنا.

من هنا وفي ظل هذه السياسة التي تسعى لتذويب عناصر الاختلاف يتولد لدى أفراد المجتمع الشعور بخطر الانمحاء من جهة، في مقابل وعي متزايد بالخصوصية الثقافية وضرورة البحث عن الهوية الذاتية من جهة أخرى، مما يولد الخوف من خطر الاختراق من الآخر، والرغبة في التحصين والممانعة ضد الثقافات المغايرة التي تفقد من منظور الوعي المذكور طابعها الإنساني وتبدو كآلية هيمنة في يد السلطة.

كما أنه في كثير من المواقف تتحول الثقافة إلى آلية تخضع لاختيارات السلطة وحاجاتها، مما ينتج عنه عمليات انتقاء وتحويل وتأويل لبنيات الثقافة ومضامينها قد تغير كليا الوجود الثقافي، بخلق تراتبيات جديدة وعلاقات وروابط مصطنعة بين العناصر الثقافية قد يجعل من ثقافة ما الثقافة الأكثر هيمنة وانتشارا. وتدفع بأخرى إلى الهوامش المنسية.[2]

❖ الخصوصية الثقافية ورهان حتمية التحلي بالقيم الإنسانية في فضاء التلاقي بين الثقافات

إن لكل مجتمع ثقافته المتباينة عن المجتمعات الأخرى، وهذا يعني أن لكل مجتمع نسق من القيم يحافظ على هويتها ويدعم وجودها، وهي تنمو وتتطور بالطريقة التي يرتضيها المجتمع ويوافق عليها (عقيل حسين عقيل، 2001،

---

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

صفحة 416)، فاختلاف القيم هنا من بين أهم العوامل التي ترينا أسباب تباين المجتمعات واختلاف أنماط السلوك، وترجع درجة هذا الاختلاف إلى تباين ترتيب القيم داخل السلم القيمي السائد في البناء الاجتماعي، وإلى مكانة القيمة وفقا لعلاقاتها الوظيفية بأفعال الفرد والجماعة، أي أن مكونات القيمة هي عناصر لها ارتباطات عقلية ووجدانية وليست عناصر عرضية (عقيل حسين عقيل، 2001، صفحة 66).

تعدّ القيم الإنسانية عامة مجموعة القيم التي تؤكد على قيم التسامح والأمن والسلام وغيرها من القيم الإنسانية المنادية بأن يكون العالم الذي نعيش فيه أكثر إنسانية ورفاهية وسلام للجميع، والقبول بها لا يعني تجاوز الينابيع الثقافية لكل مجتمع، وإنما يوجب الاستفادة منها والتأكيد على ما تنطوي عليه وتعبر عنه وتدعو له حتى يثرى العالم بذلك التنوع الأخلاقي والقيمي البديع من جهة، ولا ينتزع كل إنسان من جذور ثقافته ليوضع تحت مظلة ثقافات أو ثقافة أخرى عالمية النزعة من جهة أخرى، حيث قد تؤدي هذه النزعة الكاسحة لهوية الآخر إلى تأجيج روح الرفض والتطرف في أحيان كثيرة كما نراه في كثير من أنحاء العالم)جمال الدين(365 .p ,، كما قد تؤدي أيضا إلى الذوبان والانصهار في معالم هوية الآخر، وهو ما نخشاه على المجتمعات العربية بصفة خاصة.

إن مساحة التلاقي في القيم بكل ما تحمله من قواعد ومبادئ أخلاقية أكثر كثيرا من مساحة أية خلافات، ولإن جاء الاختلاف من الينابيع والأصول التي تنبع منها هذه القيم، أو اللغة ومفرداتها التي يعبر بها عن تلك القيم، فإن تحقيق الأمن والسلام يدعو إلى التنوع والالتقاء وليس إلى الخلاف والتنافر دون أن يؤدي ذلك إلى ما يمكن أن نسميه بالتنميط العالمي)جمال الدين(365 .p , والذي

يمكن أن يحصل إذا ما غيّب الفرد خصوصيته الثقافية في ظل هبوب رياح العولمة التي تحاول أن تقضي على ثراء الثقافات وتنوعها.

أي أن التقارب القيمي الذي هو نتاج الجوانب الإيجابية الإنسانية، يمكن أن يتحقق من خلاله التقدم الحضاري المنشود بمستوياته المختلفة المادية والروحية والثقافية تبعا لحاجات العصر والمشاركات في الإبداع الحضاري العالمي)عقيل حسين عقيل(2001, p. 392 ,فهو يقود بدوره إلى تكامل شخصية المجتمعات وتمايزها، فقابلية القيم للاكتساب يعني أن باستطاعة المجتمع أن يكتسب أو يستعير أية قيمة من غير قيمه إذا ما رأى فاعليتها في دفع عجلته الحضارية وسيرورته الاجتماعية (عقيل حسين عقيل، 2001، صفحة 408).

إذا قلنا بأن لكل مجتمع خصوصيته القيمية فإن هذه الخصوصية بطبيعة الحال لا يمكن أن ترفض التفاعل القيمي مع باقي المجتمعات الإنسانية بحكم أن الإنسان في أي مجتمع ينتمي إلى الجنس البشري وبذلك يدخل دائرة الوحدة الإنسانية، وهذه الحقيقة تناولها المفكر مارك توين حين قال:" إن وحدة الطبيعة الإنسانية لابد أن تترك آثارا متشابهة إلى حد كبير بين مختلف أبناء البشر (عقيل حسين عقيل، 2001، صفحة 408)". ولأن التفاعل والاتصال بات حتمية لا مفر منها في عصر التكنولوجيا أصبح لزاما مسايرة هذا الواقع والعمل على البحث في الآليات المناسبة لتفعيله بما يحافظ على خصوصية كل ثقافة وهويتها من الاضمحلال الذي يسبب لها فقدان مقوماتها التي هي أساس وجودها وبقائها.

كما أن الخصوصية ليست عائقا في التفاعل القيمي فهي أيضا ليست عائقا في تغيير القيم بما يتوافق مع مجريات العصر ومتطلباته، تغييرا لا يشوّه الهوية

ولا يقضي على الخصوصية وإنما يعطيها نفسا جديدا وروحا إبداعية تستطيع أن تجابه التطور التقني السريع الذي تشهده البشرية والذي لم تشهد له مثيل قط.

خاتمة:

يعتبر الحديث عن الخصوصية الثقافية من المسائل الشائكة التي تتجاذبها الكثير من النقاشات وخاصة في الفضاء الافتراضي الذي يساهم في خلق تغييرات عديدة وعلى مستويات متنوعة في مسألة الخصوصية، أين تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أبرز تقنيات وآليات هذا الفضاء التي أعادت طرح مسألة الخصوصية نتيجة الرهانات الكثيرة التي تشهدها الساحة العالمية والتي تقف عائقا في سبيل الحفاظ عليها وحمايتها من الاضمحلال في ثقافة الطرف الثاني، وتعتبر العولمة من أبرز تحدياتها، خاصة في الوسط الشبابي الذي بات الواجهة الأولى في طرح هذه المسألة نظرا لارتباطه الشديد بشبكات التواصل الاجتماعي. ولا يمكن هنا تجاهل الرهانات الأخرى التي كان لها أثرها في ذلك والمتمثلة أساسا في الاختلاف والتنوع الثقافي الذي يثير الكثير من الجدل عند الحديث عن التواصل بين الثقافات المختلفة في الفضاء الافتراضي، إضافة إلى القيم الإنسانية التي لها بصمتها في الحديث عن الخصوصية الثقافية. وعليه يمكن تقديم مجموعة من مقترحات حول كيفية استغلال وتوظيف هذه المتغيرات الكونية في خدمة الخصوصية الثقافية، والمتمثلة فيما يلي:

- تعدّ شبكات التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين وطريقة استخدامها هي التي تحدد نتائجها، لذا يجب توظيفها للتعريف بالخصوصية التي تعبر عن هوية ثقافة ما، والاعتزاز بها والتمسك بأصولها.

- تسعى العولمة باستغلال الفضاء الافتراضي إلى تقديم ثقافة عالمية موحدة تعمل على تنميط الثقافات الأخرى وجعلها في مسارها، وهو ما يدعو إلى ضرورة مجابهة هذه المحاولات الهادمة، وعدم الانصياع وراء دعاوي التطور والتقدم التي تطرحها، وذلك من خلال الوعي بمختلف الآليات والتقنيات التي تستغلها في سبيل تحقيق أهدافها، والبحث عن الطرق الأنسب لإبطال مكائدها.
- تبقى فئة الشباب الفئة الأكثر فاعلية في مسار التأثير، لذا فإن الحفاظ على الخصوصية الثقافية مرهون بإقناع الشباب بأهمية هذه المسألة وحساسيتها في تكوين ثقافة لها مبادئها ومقوماتها التي لا تزعزعها ثقافة أخرى، مع ضرورة اكسابه المرونة في التعامل مع المسائل القابلة للتعديل والتي تتماشى مع متغيرات الواقع دون أن تمس بالأصول.
- الاختلاف بين الثقافات والتواصل بينها عمّق حساسية موضوع الخصوصية الثقافية، ولأن الانغلاق على الذات في عصر التكنولوجيا بات مستحيلا فإن الحل الأمثل هو اكتساب الحصانة اللازمة التي تحمي الخصوصية من خلال الوعي بالذات من جهة وبالآخر من جهة أخرى بما يحقق التمييز بين مقومات كل منهما، مع بقاء المجال مفتوحا للتبادل الذي يمكن أن يثري الطرفين دون أن يطمس المعالم الخاصة بكل ثقافة على حدى.
- لكل ثقافة قيمها التي تتسم بها عن غيرها والتي تمنحها خصوصيتها، إلا أن هناك قيما إنسانية مشتركة بين كل الثقافات تساهم في تقدمها ورقيها وخاصة عند التفاعل فيما بينها، لذا يجب التحلي بها وتمثلها

في مختلف تعاملاتها، مع إبقاء القيم الخاصة بها كجزء من خصوصيتها وهويتها وأصالتها.